حيّ على الصلاة

مجدي الهلالي

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٣٠٦٩

الترقيم الدولى: I.S.B.N

978-977-456-530-1



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربِّ يسِّر وأعن يا كريم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالمتدبر للقرآن الحكيم يجد فيه تذكيراً متكرراً بأهمية أمر الصلاة، وضرورة أن تكون محور حياة المسلم، وأن يحرص على إقامتها بما يحقق مقصودها ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** ﴾ [طه: ١٤]؛ فإن حالت الظروف دون ذلك كأوقات الحروب -مثلا- فلا ينبغي عليه الاستسلام لها، بل يؤدي فيها الصلاة أيضًا ولكن بشكل فيه تخفيف، وهو ما يُسمى بصلاة الخوف، على أن يعود لإقامة الصلاة على حقيقتها بعد زوال هذه الظروف، وليس ذلك فحسب؛ بل عليه أن يجتهد في تعويض ما فاته بالإكثار من ذكر الله لعله يجبُر ما حدث من نقص... والله أعلم.

يقول تعالى في بيان أمر الصلاة وقت القتال:

﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ**

وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٠٢].

ثم تأتي الآية التالية لتبين ضرورة استدراك ما نقص في الصلاة بالإكثار من ذكر الله، وتحث على العودة لإقامة الصلاة بعد الاطمئنان:

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ

إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [النساء: ١٠٣].

.. نعم، أخي؛ فأمر الصلاة عظيم، وشأنها خطير؛ فهي عمود الدين، والركن الثاني في الإسلام، وآخر وصايا الرسول ﷺ: «**الصلاة، وما ملكت أيمانكم، الصلاة، وما ملكت أيمانكم**»[١].

---

(١) رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٨٧٣).

ولا تقام الصلاة حق إقامتها بأدائها بشروطها وهيئتها الصحيحة الظاهرة فقط؛ بل لا بد من تحقيق مقاصدها وجوهرها كما جاء في قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

فالخشوع روح الصلاة، قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل لينصرف وما كُتب له إلا عُشر صلاته، تُسعها، ثُمنها، سُبعها، خُمسها، ربُعها، ثُلثها، نِصفَها**»(١).

فالرجلان قد يكون مقامهما في صف الصلاة واحداً، ومع ذلك تجد ما بين صلاتهما كما بين السماء والأرض، وليس ذلك بسبب نقص في شكل الأداء، ولكن بسبب نقص الخشوع...

فكيف لنا أن نقيم الصلاة حق إقامتها؟

كيف لنا أن نخشع في صلاتنا؟!

إنه أمر ليس بالهين.. يحتاج إلى جهد كبير نبذله نحو إعادة تعبيد القلب لله عز وجل، وإخضاع مشاعرنا له -سبحانه-؛ فالطريق إلى تحقيق الخشوع في الصلاة ليس

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣١/ ١٨٩ برقم: ١٨٨٩٤)، وأبو داود (٢/ ٩٧ برقم: ٧٩٦)، وابن حبان (٥/ ٢١٠ برقم: ١٨٨٩)، وحسنه الترمذي (١/ ٢٠٢) والألباني في صفة صلاة النبي ﷺ (١/ ١٥).

بتكلُّفه ظاهريًا، ولكن بإصلاح القلب أولا؛ فإذا خشع القلب خشعت الجوارح.

ولعل هذه الصفحات التي بين يديك أخي القارئ تسهم –بإذن الله– في تنمية الخشوع في القلب؛ من خلال إلقاء الضوء على أهم معاني الصلاة وحقيقتها وقدرها، والله وحده الموفق والمستعان.

﴿ **سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ [البقرة: ٣٢].

●●●

حقيقة الصلاة

لكي ندرك –بعون الله وفضله – ما الذي ينبغي أن تمثله الصلاة عند المسلم لا بد لنا من التعرف على طبيعة وحقيقة العلاقة التي تربطنا بالله عز وجل.

«**إني أُحب أن أشكر**»:

خلق الله عز وجل الخلق لعبادته وليُظهر فيهم آثار أسمائه وصفاته:

﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**

يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ

لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢].

يُظهر –جل شأنه – آثار أسمائه وصفاته في مخلوقاته لنشاهدها وندرك من خلالها –بحسب ما تستوعبه عقولنا – قدراً يسيراً من عظمته وقدرته وقيوميته وعزته ...، فنُكبره، ونسبحه، ونحمده...

﴿ **فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ** (١٧)

وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨)

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٧-١٩].

فالتسبيح من ناحية، والحمد من ناحية أخرى لمن أهم غايات الخلق... ومعنى الحمد هو الثناء، فالله عز وجل يُحب أن يثنى عليه بما هو أهله، والحمد يشمل جميع أسماء الله وصفاته، وهو يشمل الشكر، ولكن الشكر يختص بالنعم، بمعنى أن الشكر هو الثناء على الله بنعمه التي يتفضل بها على عباده.

وكما أن التسبيح والحمد لله من غايات الخلق، فالشكر كذلك:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

وعندما رأى آدم ذريته منهم المعافى والمبتلى، ورأى فضل بعضهم على بعض، قال: أي رب أفهلا ساويت بينهم؟ قال: إني أحب أن أشكر[١].

ولعلم إبليس بعظم قدر الشكر، وأنه المراد من الخلق، فقد

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٥٣ برقم: ٤١٢٨) عن قتادة والحسن، والطبري (١٣/ ٢٣٩) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

أخبر الله عز وجل أنه سيجتهد في إِضلال بني آدم، وإبعادهم بأقصى جهده عن الشكر:

﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

أهم درجات الشكر:

أول وأهم درجة للشكر هي رؤية النعمة وإدراكها، والاعتراف بها، وإدراك قدرها من خلال تصور الحياة بدونها، وكذلك استشعار أنها نعمة وفضل وليست حقا للمرء، وإظهار ذلك لله عز وجل بالقلب: امتنانًا وعرفانًا، وباللسان: حمداً وثناءً، وبالجوارح تواضعًا وبذلاً لمن يحتاجها...

ولئن كان هذا هو ما ينبغي أن نفعله بإجمال في حق سائر النعم، فكيف نُسقط ونترجم هذه الأمور على واحدة من أعظم النعم: نعمة الربوبية التي نُذَكِّر أنفسنا يوميًا بها في صلاتنا حين نتلو الفاتحة ونردد: «الحمد لله رب العالمين»؟

الإجابة بعون الله تستدعي في البداية التعرف بإجمال على معنى الربوبية.

معنى الربوبية:

من معاني الربوبية الإمداد المتواصل من الله عز وجل لعباده بما يقيم حياتهم..

﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾ [يونس: ٢٢].

﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ**﴾ [النجم: ٤٣].

﴿**وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ**﴾ [الشعراء: ٧٩].

﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ**﴾ [الأنعام: ٦٠].

فنحن لا شيء بدون الله جل شأنه وإمداده المتواصل، فلا حول ولا قوة إلا بالله... لا توجد لدينا قوة أو قدرة ذاتية نُبصر بها، أو نسمع بها، أو نتحرك بها، أو نأكل بها، أو نشرب بها، أو نفكر بها، أو نتذكر بها، أو ننام بها، أو نستيقظ بها.

وجودنا.. حياتنا كلها قائمة بالله، ومتعلقة تعلقًا تامًا ومطلقًا به سبحانه، ولو تخلى عنا طرفة عين لتوقفت تلك الحياة: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ**﴾ [الملك: ٣٠].

فما هو شكر هذه النعمة، نعمة الربوبية بالإجمال؟!

الشكر كما أسلفنا يبدأ برؤية النعمة وإدراكها والاعتراف بها وبقدرها، والذي يمكن تصوره -إلى حد ما- بتخيل حياتنا بدونها..؛ فإذا ما أسقطنا هذا المفهوم على شكر نعمة الربوبية

نجد أن من أهم صور شكر هذه النعمة بإجمال هو: الاعتراف بعجزنا التام عن القيام بشؤون أنفسنا من دون الله جل شأنه وبدون إمداده.

ومما يجدر التذكير به أن العجز هو: عدم القدرة على تحقيق ما يريده المرء؛ فرؤية حقيقتنا أننا لا يمكننا فعل أي شيء بدون الله عز وجل، وأننا بحاجة إلى مساعدته وإعانته بشكل كامل ودائم ومتواصل لتحقيق ما نريد، وأن يستبد بنا هذا الشعور -الشعور بالعجز عن القيام الذاتي بأمورنا، واحتياجنا الماس والمطلق لربنا في كل طرفة عين -هذا هو الحد الأدنى من شكر الربوبية، كما سأل موسى عليه السلام ربه: «يا رب، كيف لي أن أشكرك وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يجازي بها عملي كله؟» قال: فأتاه الوحي: «أن يا موسى، الآن شكرتني»[1]، فشعوره عليه السلام بالعجز عن الشكر قد رضيه الله منه شكراً.

الاعتراف بالعجز والشعور بالذل لله عز وجل:

من هنا ندرك معنى كلام ابن الجوزي: «تأملت المراد من الخلق فإذا هو الذل، واعتقاد التقصير والعجز»[2].

نعم، ... فلئن كان الشكر هو المراد من الخلق؛ فشكر الربوبية

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الشكر (برقم: ٦).

(٢) صيد الخاطر (ص: ٥٦ -دار القلم).

–كما أسلفنا –هو الذل، واعتقاد التقصير والعجز الذاتي، وحين نبتعد عن ذلك فقد ابتعدنا عن الشكر...

لقد بين القرآن الحكيم في العديد من مواضعه أن الشعور بالاحتياج المطلق والذاتي لله عز وجل، والعجز عن الحياة بدونه، ومن ثم التذلل الدائم له: هو حال جميع الخلائق –عدا الإنس والجن –وما سجودها الدائم له سبحانه إلا تعبيراً عما تشعر به، وأن الإنسان حين لا يفعل مثلها؛ بل يعصي ربه ويخالف أمره، فإنه يفعل فعلا مشينا، ويضع نفسه في طريق الجحود والكفران.

.. تأمل هذه الآيات من سورة النحل وهي تنذر أصحاب السيئات بأنهم قد وضعوا أنفسهم في طريق العقاب الإلهي بعصيانهم، وأنه سبحانه وإن أخَّر عنهم هذا العقاب لرأفته بهم وانتظار توبتهم؛ إلا أنهم يستحقونه، ويكفي لتذكيرهم ما ينبغي أن تكون عليه علاقتهم بربهم؛ رؤية ما حولهم من الكائنات وملاحظة سجودها الدائم لله عز وجل...

تبدأ الآيات بالتخويف والترهيب من فعلهم:

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ

أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ

أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ

أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ

فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥-٤٧].

وتذكرهم بالحالة التي عليها جميع الخلائق كنتيجة تلقائية لحقيقة وجودهم وارتباطه التام به سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨] (داخرون أي: صاغرون منقادون)، ... فالسجود لله سبحانه هو ترجمة عملية للاحتياج والافتقار التام له، والعجز عن الاستغناء عنه ولو طرفة عين، وتعبيراً عن الشعور بالذل والانكسار له سبحانه.. ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ [النمل: ٢٥].

وَهْم الاستغناء عن الله:

فما أضلك أيها الإنسان حين تُعرض عن هذا كله، وتنسى حقيقة وجودك.

... ما أشقاك حين تنخدع بما معك من أسباب وتظن أنها ملك ذاتي دائم لك، فتقع في وهم إمكانية الاستغناء عن الله ...

فإن قلت: أنا لست كذلك، قيل لك: ألا يكفي عدم الشعور بالاحتياج الدائم إليه سبحانه دليلا على التلبس بهذا الوهم؟

أين ذل الاحتياج والافتقار؟ أين التصاغر والانقياد؟

أين السجود الحقيقي والتلقائي لمن بيده مقاليد أمورك كلها؟

أليست هذه أدلة دامغة على الوهم الذي نعيش فيه؟

﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ** ﴾ [العلق: ٦ ، ٧].

.... ما أشد جحودك أيها الإنسان حين تنسب فضل ربك وإمداداته المتوالية لنفسك، وتردد ما سبقك به الأولون: ﴿ **إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي** ﴾ [القصص: ٧٨]!

... ما أجهلك حين تُعجب وتفرح بنجاحاتك وتنسبها لذاتك، وتتيه وتفتخر بها على من حولك!

... ما أخيبك حين تخرج من حقيقة أنك لا شيء بدون الله، فتتعاظم في نفسك، وتتكبر على ربك!

تتكبر عن القيام بواجبك التلقائي نحو من يمدك بمقومات الحياة، ولو توقفت تلك الإمدادات لانتهي وجودك!!

تتكبر عن إظهار عجزك الذاتي، وافتقارك الدائم، وذُلِّك وانكسارك له!!

... ما أضلك وما أخيبك، وما أشقاك، وما أجهلك، وما أجحدك حين تتمرد على ارتداء جلبابك، وتتوهم بالفعل قبل

القول أنه يمكنك الاستغناء عن الله... ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ [يونس: ٢٣].

إن العُجب والغرور والكبر وغيرها من أمراض القلوب لمن أشد صور الجحود والنكران والكفران لهذه الحقيقة... حقيقة الربوبية، ولعلنا بذلك نُدرك شيئًا من حكمة التشديد في عواقب هذه الأمراض، حيث تبعد صاحبها وتقصيه عن حظيرة العبودية، وتضعه في طريق خطير مهلك، تنقطع فيه صلته بالله؛ صلة العبد بالرب...

الرب الودود يدفعنا للشعور بالعجز:

الله سبحانه وتعالى يريد لنا الخير: ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ﴾ [النساء: ٢٧]، ﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ** ﴾ [البقرة: ٢٢١]، ولأن طريق الجنة هو طريق العبودية حيث التحقق بالذل واعتقاد العجز الذاتي، فإنه سبحانه يدفع عباده الشاردين عن هذا الطريق للعودة إليه، ومن ذلك أنه خلقنا سبحانه بهيئة تدفعنا لاستشعار هذا المعنى.

ومن ذلك:

.. عدم القدرة على الاستمرار في حالة من اليقظة المتواصلة دون نوم.

.. عدم القدرة على تحمل الجوع والعطش مدة طويلة.

.. عدم القدرة على تحمل نقص الهواء.

.. عدم القدرة على تحمل عدم الإخراج.

.. وهكذا، والمفترض أن هذه الأمور تدفعنا نحو الاعتراف بالعجز الذاتي، والشعور بالذل نحوه سبحانه.. فإن لم نفعل فإن الرب الودود يرسل لنا آيات ورسائل أغلبها في شكل منع لجزء من إمداداته .. يُرسلها سبحانه لكل فرد كالمرض والنقص والابتلاءات المتنوعة لتكشف له حقيقة فقره إلى ربه، وتهدف كذلك إلى إرباك حساباته، وإخراجه من حالة الغفلة والاطمئنان للدنيا، والتعلق بأسباب القوة المتوهمة...؛ كل ذلك لكي يعود إلى حظيرة العبودية ﴿ **وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [الزخرف: ٤٨]، ولكي تتصل الأرض بالسماء من خلال توجه المرء بحالة الاضطرار والاحتياج وإعلان الفقر وإظهار الذل والمسكنة لمن بيده خزائن كل شيء.. فلا قيمة للإنسان دون هذا الاتصال، ولئن بدأ رحلته إلى الله وهو في منزلة عالية عنده سبحانه إلا أنه ينحط ويتسفل كلما غفل ونسي وأنكر ضرورة هذا الاتصال والتلبس بهذه الحالة.. ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** ﴾ [التين: ٤، ٥].

إن المرء حين يترجم جزءاً من حقيقة وجوده بتوجهه لربه بمشاعر الاضطرار والمسكنة والافتقار والذل؛ فإنه يضع نفسه في مكانه الصحيح كعبد ذليل لرب جليل .. هنا تَرِدُ عليه المكرمات والولاية والكفاية الإلهية... ولم لا وقد دخل إلى ربه من الباب الصحيح ... ووضع نفسه في طريق ولايته وكفايته: ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ** ﴾ [الزمر: ٣٦].

.. جاء في الأثر أن موسى بن عمران عليه السلام قال: أي رب، أين أبغيك؟ قال: ابغني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، إني أدنو منهم كل يوم باعًا، ولولا ذلك لانهدموا[١].

... فالمطلوب إذن توجه المرء بمشاعر المسكنة والاستكانة والانكسار لربه جل شأنه وليس لغيره .. حينها يدخل مضمار العبودية.

إن المحن والابتلاءات والنقص تجعل عامة الناس يشعرون بشيء من العجز والاستكانة، ولكن هذا وحده لا يكفي؛ بل لا بد أن يتوجهوا بهذا الشعور نحو ربهم الذي أرسل لهم هذه الابتلاءات ليعودوا عبيداً صاغرين إليه؛ لذلك نجد أكثر من آية تذم أولئك الذين لا ينتفعون بتلك الرسائل الإلهية، ولا يحققون ما تهدف

(١) ذكره الإمام أحمد في كتاب الزهد (برقم: ٣٩١).

إليه: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

اتصال الأرض بالسماء:

إن العلاقة التي تربطنا بالله عز وجل هي علاقة العبودية بالربوبية، ولقد أقر جميع البشر بذلك في المشهد العظيم .. في عالم الذر:

﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ
قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

أقررنا في هذا المشهد بربوبيته -سبحانه- علينا .. أقررنا بالحقيقة التي تعني أنه لا حياة ولا وجود ولا قيام لنا إلا به، وأنه هو وحده القائم على أمر تربيتنا وتعاهدنا وإمدادنا بما نحتاجه، ولا يوجد مصدر آخر لتحصيل ذلك، فهو رب كل شيء، وهو على كل شيء وكيل.

عنده خزائن كل شيء، يملكها، ولا يَخرج منها شيء إلا بإذنه، وبالقدر الذي يقدره سبحانه: ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ** ﴾ [القمر: ٤٩].

﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ** ﴾ [الحجر: ٢١].

هذه هي أصل العلاقة التي تربطنا بالله جل شأنه... ولئن كان سبحانه قد أتاح لنا حرية الاختيار، إلا أنه في الوقت ذاته أخبرنا بأن قيمتنا عنده مرتبطة باستحضارنا لهذه الحقيقة، وممارسة ما تقتضيه..

ولئن كنا ونحن نعيش على الأرض لا نرى الله عز وجل بأبصارنا؛ لأنه سبحانه ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ** ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿ **وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا** ﴾ [طه: ١١٠] إلا أنه من المتاح الاتصال به جل شأنه من خلال التحقق بمعاني العبودية، ليتصل حينها ما انقطع، ويقترب ما ابتعد، ويعاد تجديد العهد والوعد حين سألنا: ألست بربكم؟ فقلنا: بلى.

جوهر الاتصال بين العبد وربه:

من هنا نؤكد بأن الاتصال الحقيقي بالله عز وجل لا بد أن يكون جوهره هو التواصل بين حقيقة وجودنا وبينه سبحانه.

.. هو إقرار وتأكيد على العهد الأول.

أو بمعنى آخر: إن الاتصال الحقيقي الذي ينبغي أن يكون بين الإنسان وبين الله جل شأنه:

هو اتصال العبد العاجز بالرب القادر.

والعبد الضعيف بالرب القوي.

والعبد الذليل بالرب العزيز.

والعبد الحقير بالرب العظيم.

والعبد الجاهل بالرب العليم.

هو اتصال ممن هو لا شيء، ومن لا يملك شيئًا، ولا يقدر على جلب أدنى نفع أو دفع أقل ضر عن نفسه، بمن هو خالق كل شيء، ومالك خزائن كل شيء .. بمن لا يعجزه شيء أراده أن يفعله ... بمن إذا شاء كان وإذا لم يشأ لم يكن ... حي قيوم ... قريب محيط ... سميع عليم ... عزيز حكيم ..

هذا الاتصال هو الاتصال التلقائي الناتج عن الحقيقة التي يقوم الوجود كله عليها .. وهو الاتصال الذي يرضي الله عز وجل...

تأمل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ

أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ثم تأمل الآيات التي تتلوها مباشرة التي توجهنا للحقيقة التي ينبغي أن نكون عليها كنتيجة تلقائية لهذه الربوبية:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥)
وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا
وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

.. نعم، هذا هو جوهر الاتصال الذي يريده الله من المرء وذلك بالتوجه إليه بدعاء تنفعل فيه مشاعره وتنتفض أعضاؤه، ويُظهر فيه عظيم احتياجه وفقره إليه، وذله وانكساره بين يديه، ويقر له بعجزه عن القيام بشؤون نفسه، ولو بأدنى شيء منها، وأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياة ولا صحة ولا مرضًا...

.. وأن يُعبِّر فيه كذلك عن حقيقة ضعفه وعجزه الذاتي التام واحتياجه المطلق له سبحانه.

.. وأنه لا شيء دونه.

فـإن فـعل فـقـد اتصل واقـتـرب: ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ [العلق: ١٩].

وإن لم يفعل: انقطع الاتصال .. وزاد البُعد .. وتَدَنت قيمته ومرتبته: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ [التين: ٥].

الصلاة من أهم أشكال الاتصال:

لعلنا بهذا المعنى نزداد إدراكًا لأهمية الصلاة؛ فالرب الرحيم الودود يعلم ضعفنا، وأننا سنغفل عنه، وننشغل بأمورنا، فشرع لنا الصلاة لتكون بمثابة تجديد للعهد، وعودة للاتصال بيننا وبينه سبحانه؛ فكما أسلفنا بأنه لا قيمة لأحد عند الله إلا بمدى تحقيقه لجوهر العبودية، والتزامه بالعهد الأول؛ لذلك فإن أي وقت يمر دون وجود اتصال بما يماثل المعنى الذي ذكرناه فإنه يهوي بصاحبه، ويُبعده، ويقصيه عن ربه.. والله أعلم.

.. أو بمعنى آخر: أن المرء حين لا يتصل بربه من خلال حقيقة أنه عبد ذليل لرب جليل؛ فإنه يضل ويحترق.

من هنا كانت الصلاة فرصة عظيمة، ومنحة هائلة لتعيد الاتصال مرة ثانية، وتصلح ما انقطع، وتُقرب من ابتعد، وتطفئ نيران الغفلة والنسيان والمخالفات.. فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملكًا ينادي عند كل صلاة: يا بني**

آدم، قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على أنفسكم، فأطفئوها بالصلاة»[١].

ولئن كانت الصلاة بصفة عامة تطفئ النيران التي أشعلها المرء بغفلاته ومخالفاته، فإن السجود له خصوصية أشد في إطفاء هذه النيران، وكيف لا وهو الصورة المثلى للخضوع والصغار للرب الأعلى الكبير المتعالي.

عن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن المسلم يصلي وخطاياه مرفوعة على رأسه كلما سجد تحاتت عنه فيفرغ من صلاته وقد تحاتت عنه خطاياه**»[٢].

وما الذنوب؟!

أليست غفلة عن العبودية؟

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٩/١٧٣ برقم: ٩٤٥٢)، والصغير (٢/٢٦٢ برقم: ١١٣٥)، وحسن إسناده الضياء المقدسي في المختارة (٧/١٦٢ برقم: ٢٥٩٢)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٦/٢٥٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٥٠٣ برقم: ٢٨٧٥)، وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (برقم: ٣٤٠٢) وعضده بحديث عبد الله بن عمر ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد إذا قام إلى الصلاة أتى بذنوبه كلها فوضعت على عاتقيه، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه**» رواه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (١/٣١٦ برقم: ٢٩٣)، وفي مختصر قيام الليل (ص: ١٣٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (برقم: ١٣٩٨).

غفلة عن طاعة الملك؟

غفلة عن الاستسلام له؟

أليست عصيانًا وخرقًا للعهد الذي بيننا وبين الله؟

وما السجود؟!

أليس عودة إلى الرشد؟

أليس إقراراً بالعبودية؟

﴿ **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** ﴾ [العلق: ١٩].

●●●

الصلاة رحمة من الله بعباده

إن إلزام المرء بالصلاة عدة مرات في اليوم والليلة لهو مظهر جليل من مظاهر الرحمة الإلهية، فلو لم تكن الصلاة إلزامية وتُرك الأمر للناس لازدادوا بعداً واحتراقًا وضلالاً.

.. لقد سُميت الهيئة التي ندخل بها على الله بداية من التكبير حتى التسليم بـ: «الصلاة»، ولم تسمَّ بغيرها لأن الاسم مشتق من الصلة .. نَعَم، صلة الأرض بالسماء، وصلة العبد بالرب.

فلئن غفل العبد عن ربه بعض الوقت، فعليه أن يجدد العهد، ويعيد الاتصال مرة أخرى: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي** ﴾ [طه: ١٤]

لا عذر لأحد في ترك الصلاة:

لذلك نجد الصلاة أمرًا ثابتًا في جميع الشرائع: ﴿ **وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** ﴾ [مريم: ٣١]، وأنها «**عمود الدين**»[١].

(١) روى البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٠٠ برقم: ٢٥٥٠): جاء رجل فقال: يا رسول الله أي شيء أحب عند الله في الإسلام؟ قال: «**الصلاة لوقتها، ومن ترك الصلاة فلا دين له، والصلاة عماد الدين**»، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (١/ ٤٤٦): رواه أبو نعيم شيخ البخاري في كتاب الصلاة عن حبيب بن سليم عن بلال بن يحيى قال: جاء رجل=

وعندما نعيش مع حقيقة الصلاة وكيف أنها تعيدنا لسيرتنا الأولى، وتُدخلنا في حمى مولانا ومليكنا -كما أسلفنا -فإننا سنزداد حرصًا على أدائها في كل الأحوال، وسندرك حكمة أن الشرع لم يستثن أحدًا من أدائها تحت أي ظرف: كمرض أو سفر أو حرب...؛ لأننا في هذه الأوقات لا ننفصل عن عبوديتنا لله .. لم نخرج من هذه الحقيقة، ولم ننفك عنها، أو تنفك عنا، بل إننا نحتاج في تلك الأحوال إلى معيته سبحانه وكفايته وولايته أكثر وأكثر..

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٨، ٢٣٩].

الصلاة وشكر الربوبية:

إن الصلاة بحقيقتها وجوهرها لمن أجلّ صور شكر الربوبية ..

= إلى النبي ﷺ فسأله فقال: «**الصلاة عمود الدين**»، وفي المسند من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه (٣٦/ ٣٤٤ برقم: ٢٢٠١٦) قال ﷺ: «**ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟**» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**» ورواه أيضًا ابن ماجه (٥/ ١١٦ برقم: ٣٩٧٣)، والترمذي (٥/ ١١ برقم: ٢٦١٦) وقال: حسن صحيح.

تأمل قوله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ١، ٢].

.. نعم، فمن أراد أن يتذكر ربه، ويُفرغ مشاعر الافتقار والاحتياج والذل والمسكنة إليه فعليه بالصلاة: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤، ١٥].

فإن قلت: ولماذا الصلاة تحديداً؟ ألا يمكن للمرء أن يفعل ذلك في أي وقت؟ كانت الإجابة –بفضل الله –بأنه بالفعل يمكن للمرء أن يظهر لربه عبوديته في أي وقت، وهذا أمر مطلوب، ومحمود، إلا أن هيئة الصلاة وأفعالها وحركاتها تُيسّر له أكثر وأكثر إظهار معاني هذه العبودية...

هيئة الصلاة:

إن المتأمل لهيئة الصلاة، المتفكر في أفعالها سيجدها –على الإطلاق –أفضل شكل وهيئة يدخل بها المرء على ربه، ويعلن من خلالها عبوديته له، بكل ما تعنيه من معاني الافتقار والاحتياج، والذل والعجز والتصاغر والمسكنة، والخضوع والتسليم، والهيبة والخشية والإجلال، والرغبة والرهبة ... فكل ما فيها من أفعال من شأنها أن تهيئ المرء وتساعده على إظهار هذه المعاني لربه، بداية من رفع اليد إكباراً وتعظيماً لله كبداية للاتصال، ثم وضع اليد اليمنى على اليسرى إظهاراً للخضوع والهيبة والإجلال له

سبحانه، ودعاء الاستفتاح وما فيه من ثناء عليه جل شأنه، ثم قراءة فاتحة الكتاب كمقدمة يجدد فيها عهده بربه: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة: ٥]، ويُضَمِّن فيها أعظم المطلوبات: الهداية إلى الصراط المستقيم، وقبل ذلك يثني على ربه ويحمده تعبيراً عن شكره وعرفانه وامتنانه له.

وبعد الفاتحة: قراءة آيات من القرآن وما فيها من روح مُزلزِلة، ومعانٍ مُذكِّرة، وقوة تأثيرية متفردة تحطم كل ما يقف أمامها من باطل، سواء كان شبهة أو شهوة، وتدفع المرء نحو الصغار لربه والتسليم المطلق له.

ثم يأتي الركوع بهيئته وانخفاضه وما ينبغي أن يحمله ذلك من معاني الإجلال والتعظيم لتكون صيغة التسبيح فيه مُعبرة عن هذه الحال: «سبحان ربي العظيم»، وكذلك السجود الذي يمثل أعظم صور إظهار الذل والانكسار والخضوع، والتسليم والتصاغر لله عز وجل؛ لذا كان التسبيح فيه بصيغة: «سبحان ربي الأعلى» فالعبد في حالة السجود يكون في أعظم أشكال التصاغر لربه فيسبحه فيه، ويشهده أنه وحده الأعلى سبحانه، وأن شرفه كعبد أن يكون في هذا المقام...

.. نعم، كل ذلك وغيره من هيئة الصلاة يمثل الوعاء لإظهار معاني العبودية، فإن قمنا بهذه الأفعال دون أن نملأها بتلك المعاني، فما قيمة ما فعلنا؟!

.. يقـول رسـول الله ﷺ : «**إن الرجل لينصـرف ومـا كـتب له إلا عـشر صلاتـه، تسعهـا، ثمنهـا، سبـعهـا، سـدسـهـا، خـمـسـهـا، ربعـهـا، ثلثهـا، نصفهـا**»(١).

اذهب فصلِّ فإنك لم تُصلِّ:

فالعبرة بالحقائق والمعاني التي نظهرها في الصلاة، مع التأكيد على أنه لا بد لنا من الالتـزام بالشكل والهـيـئـة التي طالبنا الله أن نكون عليها ونلتزم بها حين نقف بين يديه...

فلئن كانت العبرة بالمضمون وما تظهره صلاة المرء من معاني العـبـودية إلا أن الشكل ضروري ولا مـجـال فـيـه للاجـتـهـاد ... فالصلاة هيئة مخصوصة بأقوال وأفعال محددة تبدأ بالتكبير وتنتـهي بالتـسليم.. ويُرسخ هذا المعنى قـوله ﷺ للرجل الذي أسـاء في صـلاته ولـم يقـم بهـا بالشكل الذي أمـر الله به: «**اذهب فصلِّ فإنك لم تصلِّ**»...

عن أبي هريرة: أن رسـول الله ﷺ دخل المسـجـد فـدخل رجل، فصلى، فسلم على النبي ﷺ، فرد وقال: «**ارجع فصلِّ، فإنك لم تصلِّ**»، فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء، فسلم على

(١) رواه أحمد في المسند (٣١/ ١٨٩ برقم: ١٨٨٩٤)، وأبو داود (٢/ ٩٧ برقم: ٧٩٦)، وابن حبـان (٥/ ٢١٠ برقم: ١٨٨٩)، وحسنه المنذري (١/ ٢٠٢) والألباني في أصل صفة صلاة النبي ﷺ (١/ ١٥).

النبي ﷺ، فقال: «**ارجع فصلِّ، فإنك لم تصلِّ**» ثلاثًا، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني، فقال: «**إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا، وافعل ذلك في صلاتك كلها**»(1).

إقامة الصلاة:

إن إقامة الصلاة تعني القيام بها شكلاً ومضمونًا، ومما يدعو للأسف أن غالب المسلمين لا يقصر في الشكل، لكن التقصير الشديد دائمًا من نصيب المضمون.

فإن قلت: وكيف نعرف ذلك؟ وهذا أمر بين المصلين وبين ربهم، لا يطلع عليه سواه.

.. نعم، الله وحده عالم السرائر، الخبير بما نعمل، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.. ومع ذلك فقد أخبرنا في كتابه العزيز بأثر الصلاة: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فمن علامات النجاح في إقامة الصلاة كما يريد الله عز وجل،

(١) رواه البخاري (١/ ١٥٢ برقم: ٧٥٧)، ومسلم (١/ ٢٩٧ برقم: ٣٩٧).

وكما ينبغي أن تكون: تجديد عهد العبودية الذي من بنوده: الخضوع والطاعة وعدم تعدي حدود الله، مع نصرته، والالتزام بأوامره، والابتعاد عن نواهيه... ومن ثم يخرج المرء من الصلاة أكثر تصميمًا وعزمًا على التطبيق العملي لهذه البنود، ليكون الأثر واضحًا في محيطه .. ورعًا وانضباطًا، وابتعادًا عن كل ما يغضب الله؛ لذلك عندما قيل لرسول الله ﷺ: إن فلانًا يصلي بالليل، فإذا أصبح سرق، قال: «**إنه سينهاه ما تقول**»(١).

ستنهاه صلاته حين يقوم بها كما ينبغي، فإن المرء حين يتذكر عجزه وضعفه وفقره وعظيم احتياجه لربه، ويظهر ذلك في الصلاة، فإن هذا من شأنه أن يجدد فيه الإيمان فيخرج من الصلاة أكثر تعلقًا به سبحانه، ووثوقًا فيه، وإيمانًا بما عنده، وخوفًا منه، واستعانةً واعتصامًا به، ومن ثم يظهر ذلك حتمًا على سلوكه وأفعاله، لتكون ترجمةً حقيقيةً لنجاحه في أداء الصلاة...

وليس هذا فحسب، بل قبل ظهور هذا الأثر في واقع الفرد؛ هناك أثرٌ داخلي عظيم ينتج عن استحضار معاني العبودية والدخول بها على الله جل شأنه من خلال الصلاة ... هذا الأثر هو خشوع القلب وهبوطه وتصاغره لربه مما ينعكس على الجوارح

---

(١) رواه أحمد (١٥/ ٤٨٣ برقم: ٩٧٧٦)، والبزار (١٦/ ١٣٠ برقم: ٩٢١٧)، وابن حبان في صحيحه (٦/ ٣٠٠ برقم: ٢٥٦٠)، وصححه الأرناؤوط.

بالخشوع وليس العكس، ولو تكلف المرء خشوع وتصاغر جوارحه دون قلبه لكان من أصحاب خشوع النفاق والعياذ بالله.

قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى: «**إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل بها على خلقي**»(١).

لقد خُلقنا لنصلي:

أخي.. إن أمر الصلاة عظيم، ولا يخطئ من يقول بأننا خُلقنا لنُصلي.

.. نعم، خلقنا لنكون عبيداً لله عز وجل.

والعبودية تعني الذل والانكسار له سبحانه ... وما الصلاة إلا أفضل صورة للتعبير عن ذلك.

.. خُلقنا لننصر دين الله، والصلاة هي أفضل زاد وإعداد للنجاح في هذه المهمة.. لذلك نجد إبراهيم عليه السلام يناجي ربه بعد أن ذهب بزوجته هاجر وابنه الرضيع إسماعيل إلى صحراء مكة القاحلة قائلا:

﴿ **رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ**
عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ
رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

---

(١) رواه البزار (١١/١٠٥، ١٢٩ برقم: ٤٨٢٣، ٤٨٥٥).

ربنا ليقيموا الصلاة . . . نعم، فهو الحنيفي، وهو الذي يدرك حقيقة وجود المرء على الأرض والمهمة المطلوبة منه؛ لذلك كان تعبيره متسقًا مع هذه الحقيقة . . حقيقة ﴿ **رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ** ﴾ ثم يختم مناجاته ودعاءه لربه بالتأكيد على نفس المعنى :

﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ** ﴾ [إبراهيم : ٤٠ ، ٤١] .

. . إن غاية وجودنا هو الالتزام بحقيقة العبودية . . بهذا عاهدنا الله عز وجل في عالم الذر ، . . هذا العهد تترجمه الصلاة بمعناها الحقيقي، فإن أقمناها حق إقامتها فقد عقدنا الصلة بربنا، وحافظنا على العهد الذي بيننا وبينه، وإن لم نفعل فقد نقضنا العهد . .

يقول رسول الله ﷺ : « **خمس صلوات افترضهن الله على عباده من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن، فأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له عند الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له عند الله عهد إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه** »[1] .

---

(١) رواه أحمد (٣٧ / ٣٦٦ برقم : ٢٢٦٩٣)، وابن ماجه (٢ / ٤٠٨ برقم : ١٤٠١)، وأبو داود (١ / ٣١٦ برقم : ٤٢٥)، وابن حبان (٥ / ٢٣ برقم : ١٧٣٢) وصححه النووي في المجموع (٣ / ١٧)، والألباني في المشكاة (برقم : ٥٧٠) .

.. إن الصلاة هي عمود الإسلام، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**ألا أخبرك برأس الأمر وعموده، وذروة سنامه؟! فقلت: بلى يا رسول الله، قال: رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**»(١).

.. نعم، أخي فالصلاة لها قدر عظيم، وينبغي أن تكون هي محور حياتنا، وأولى أولوياتنا، فلا خير في عمل يُلهي عن الصلاة: ﴿ **رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ** ﴾ [النور: ٣٧].

بل إن من أعظم أهداف تمكين المؤمنين في الأرض: إقامة الصلاة.. ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾ [الحج: ٤١].

لذلك كانت الصلاة هي مفتاح الفلاح .. فحيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح.

●●●

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٦/٣٤٤ برقم: ٢٢٠١٦)، وابن ماجه (٥/١١٦ برقم: ٣٩٧٣)، والترمذي (٥/١١ برقم: ٢٦١٦) وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في إرواء الغليل (برقم: ٤١٣).

الصلاة معراج القلوب

نحن في حياتنا نسير إلى الله ﴿ **يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ** ﴾ [الانشقاق : ٦] .

﴿ **فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ** ﴾ [فصلت : ٦] .

. . هذا السير نقطعه بالأيام والليالي وينتهي بالموت : ﴿ **وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ** ﴾ [النجم : ٤٢] .

ولكن بنهاية هذا السير يكون هناك القريب والبعيد من ربه، ويحدد ذلك مدى التزام المرء بالعهد الأول، والحفاظ على الفطرة الحنيفية التي فطر الله الناس عليها . . . وكما أسلفنا فالصلاة هي أفضل تعبير والتزام بالعهد والميثاق، وذلك حين يقيمها العبد بالصورة الصحيحة . . شكلاً ومضمونًا . . . أو بمعنى آخر : فإن الصلاة هي سلم الصعود نحو السماء . . معراج القلوب نحو الله عز وجل : ﴿ **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** ﴾ [العلق : ١٩]، فالمعراج في اللغة هو السُّلم أو المصعد .

أرِحْنا بها يا بلال :

لعل إدراك حقيقة ما تعنيه الصلاة يفسر لنا قول رسول الله

ﷺ: «**يا بلال، أرحنا بالصلاة**»(١)، وقوله: «**وجُعلَتْ قرة عيني في الصلاة**»(٢)، وقبل ذلك قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ**﴾ [البقرة: ٤٥].

.. نعم أخي، فهناك سر في الصلاة حين يدركه المرء فإنه يشعر بهوان أي شيء بعده.. بهوان الدنيا وما عليها... هناك متعة وسعادة ولذة يدركها من «يقيم» الصلاة، ويعقد من خلالها الصلة بالله جل شأنه، وكيف لا وقد خُلقنا عبيداً له سبحانه، وأي تمرد على هذه الحقيقة يعني الخروج من نظام الكون، ومن صفوف سائر العابدين ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا**﴾ [الرعد: ١٥].

وحين يعود المرء إلى حقيقة عبوديته، ويدخل إلى الصلاة بقلبه، ويظهر لربه معاني الخضوع والذلة والمسكنة فإنه بذلك يعود لمكانه وينسجم مع طبيعة خلقته، ويتناغم مع سائر المخلوقات.... فعندما يُعبر عن ضعفه وفقره وعظيم احتياجه لمن

---

(١) رواه أحمد (٣٨/ ١٧٨ برقم: ٢٣٠٨٨)، وأبو داود (٧/ ٣٣٨ برقم: ٤٩٨٥)، وصححه الزيلعي في الكشاف، والألباني.

(٢) رواه أحمد في المسند (١٩/ ٣٠٥ برقم: ١٢٢٩٣)، والبزار (١٣/ ٢٩٦)، والنسائي (٧/ ٦١ برقم: ٣٩٣٩)، والحاكم (٢/ ١٧٤ برقم: ٢٦٧٦) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الضياء (٥/ ١١٢، ١١٣)، وابن مفلح (٢/ ٣٩٦)، وابن الملقن في البدر المنير (١/ ٥٠١)، والألباني في السلسلة الصحيحة.

يملك خزائن كل شيء.. المحيط بكل شيء.. القادر على فعل أي شيء.. الحي القيوم الذي لا ينام.. القريب السميع البصير، ويُحسن ترجمة معاني عبوديته له، ويبث إليه شكواه، ويثني عليه، ويسأله احتياجاته، ويستشعر قربه منه، وسماعه لكلامه؛ فإنه يخرج من هذه الصلاة بسكينة وطمأنينة وشعور بالأمن، والراحة، والسعادة، والمتعة التي لا توصف... كل ذلك يتناسب قدره مع قدر تلك المعاني في القلب، ومدى اجتهاده في إظهارها والتعبير عنها.. والله أعلم.

ولأن النموذج الصحيح الكامل للعبد هو رسول الله ﷺ؛ فلا غرو أن نجد الصلاة بالنسبة إليه هي منبع السعادة وكهف الراحة والسكينة، فقد كان يقول: «**وجُعلت قرة عيني في الصلاة**»(١)، وكان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة(٢).

الصلاة والمناجاة:

كل امرئ له علاقات متعددة، ولكن ينبغي أن تكون أقوى

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٩/٣٠٥ برقم: ١٢٢٩٣)، والبزار (١٣/٢٩٦)، والنسائي (٧/٦١ برقم: ٣٩٣٩)، والحاكم (٢/١٧٤ برقم: ٢٦٧٦) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(٢) روى الإمام أحمد في المسند (٣٨/٣٣٠ برقم: ٢٣٢٩٩) عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمرٌ صلى»، ورواه أبو داود (٢/٤٨٥ برقم: ١٣١٩).

علاقة وصلة في كل العلائق هي علاقته بربه، وكيف لا وهو خالقه من العدم، والقائم على تدبير أموره ورعايته وحفظه وإمداده بما يصلحه.

.. ينكشف هذا الأمر وتظهر مدى قوة هذه الصلة أو ضعفها حين يتعرض الإنسان لبعض الشدائد والمضايقات، والأقدار المؤلمة، فلو كان الله عز وجل هو الأقرب للقلوب لهرعت إليه بصورة تلقائية تسأله الإعانة والسداد، وتُشهده على ما يحدث، وتأنس بقربه منها.. أو بمعنى آخر: ينبغي أن يكون الله عز وجل عندنا أقرب من ننادي، وأول من نتذكر في تقلبات حياتنا... ومن أفضل الوسائل لتقوية العلاقة بالله جل شأنه: كثرة مناجاته والحديث معه.

وليس المقصد من المناجاة الدعاء فقط، بل يتسع مفهومها ليشمل بث الهموم، وذكر المتاعب التي يلاقيها المرء، وسرد تفاصيل ما يحدث له، والثناء عليه، وشكره على نعمه، وإشهاده على ما يحدث له في حياته ومما يلاقيه من أذى وهو يسير في طريق الدعوة إليه.

ومن أمثلة ذلك في القرآن ما ناجى به نوح عليه السلام ربه:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ

وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ٥ - ١٢].

وزكريا عليه السلام:

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٢ - ٦].

ومن السيرة: مناجاته ﷺ لربه وهو عائد من الطائف:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»(١).

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة (١/ ٤٢٠)، ورواه الطبراني في الكبير (١٣/ ٧٣).

.. والمناجاة متاحة للعبد في كل وقت، وهي من أفضل وسائل تقوية العلاقة بينه وبين ربه، ومع ذلك فإن المناجاة في الصلاة – خاصة في السجود– لها ميزة وفضل يفوق خارجها؛ لأنها تتم في أفضل شكل للعبودية... قال رسول الله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»(١).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فقام، وقمنا معه، فأطال القيام، حتى ظننا أنه ليس براكع، ثم ركع، فلم يكد يرفع رأسه، ثم رفع، فلم يكد يسجد، ثم سجد، فلم يكد يرفع رأسه، ثم جلس، فلم يكد يسجد، ثم سجد، فلم يكد يرفع رأسه، ثم فعل في الركعة الثانية كما فعل في الأولى، وجعل ينفخ في الأرض، ويبكي وهو ساجد في الركعة الثانية، وجعل يقول: «**رب، لم تعذبهم وأنا فيهم؟ رب، لم تعذبنا ونحن نستغفرك؟**»(٢).

المناجاة صبغة الصلاة:

بالصلاة تنعقد الصلة مع الله عز وجل.. صلة العبد بالرب وذلك حين يستشعر المرء معاني العبودية –كما أسلفنا–.. ولا

(٢) رواه مسلم (١/ ٣٥٠ برقم: ٤٨٢).

(٣) رواه أحمد في المسند (١١/ ٢١ برقم: ٦٤٨٣)، وأبو داود (٢/ ٣٩٤ برقم: ١١٩٤)، وابن خزيمة (٢/ ٣٢٢ برقم: ١٣٩٢)، وابن حبان (٧/ ٧٩ برقم: ٢٨٣٨)، وحسنه الأرناؤوط.

يكفي استشعاره لهذه المعاني بل لا بد أن يترجمها في صورة دعاء ومناجاة.

على العبد أن يناجي ربه بما يعبر عن هذه الحالة المشاعرية.. ومما يؤكد هذا المعنى أننا لو تأملنا فيما يقال في الصلاة لوجدنا أنها تصطبغ بصبغة ضمير المتكلم.

فالفاتحة التي يقرؤها المرء في كل ركعة يتعدد فيها هذا الضمير:

إياك نعبد، وإياك نستعين... اهدنا الصراط المستقيم...

ولو تأملنا بقية ألفاظها لوجدنا خطاباً يتوجه به العبد لربه يبدأ بالثناء عليه ثم دعاؤه: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾ [الفاتحة: ٢-٧].

وفي الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي القيام من الركوع: ربنا ولك الحمد، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى، وحين يقرأ المرء القرآن في الصلاة فإنه يستمع لربه وهو يكلمه.. فالقرآن كلام الله يخاطب به الناس فرادى وجماعات: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾.. ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾.. ﴿**وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا**﴾ [لقمان: ١٨].

فصبغة الصلاة إذن هي المناجاة التي تكون بين اثنين.. أنت وربك.

وعندما يتذوق المرء حلاوة مناجاته بربه ومولاه فإنه يكون في حالة من الشوق الدائم لها، ويتحين أي فرصة يخلو فيها المكان فيناجيه، وأعظم تلك الأوقات التي تتيسر فيها تلك المناجاة... هي الصلاة، ففيها يخلو بربه فيكلمه على الحضور، ويبث إليه أشواقه ويشهده على ما يحدث له، ويسأله من خيري الدنيا والآخرة... ولقد كان حال رسول الله ﷺ مع الصلاة يعكس قوة صلته الشديدة به سبحانه وانتظاره الصلاة بشوق وشغف... ومن ذلك قوله ﷺ لبلال رضي الله عنه: «**أرحنا بها يا بلال**»[1].

وتحكي السيدة عائشة عن موقف عظيم يؤكد هذا المعنى، قالت: لما كان ليلة من الليالي قال: «**يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي**» قلت: «والله إني لأحب قربك وأحب ما سَرَّك» قالت: «فقام فتطهر ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حجره» قالت: «ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَّ لحيته»، قالت: «ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَّ الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟» قال: «**أفلا أكون عبداً شكوراً؟ لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم**

(١) رواه أحمد (٣٨/ ١٧٨ برقم: ٢٣٠٨٨)، وأبو داود (٧/ ٣٣٨ برقم: ٤٩٨٥)، وصححه الزيلعي في الكشاف، والألباني.

يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]»[١].

وتصف ﵂ قدر الصلاة عنده ﷺ فتقول: «كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»[٢].

أفضل أوقات اليوم:

الله عز وجل هو ربنا، ورب كل شيء.. رب الزمان والمكان.

ولقد اختار لنا سبحانه أوقاتًا خمسة افترض علينا فيها الصلاة، وحثنا على لسان نبيه ﷺ على القيام بها في أول وقتها، معنى ذلك أن أفضل أوقات اليوم هي أوقات الصلاة..

فنحن -كما أسلفنا- قد خُلقنا لنُصلي بمفهوم الصلاة الصحيح...

وأنه سبحانه اختار لنا هذه الأوقات لنصلي فيها..

فهذا معناه أن هذه الأوقات هي أفضل أوقات اليوم؛ لذلك علينا ألا نتهاون في أداء الصلاة أول وقتها.

.. سئل رسول الله ﷺ: «أي الأعمال أفضل؟» قال: «**الصلاة لوقتها**»[٣].

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/٣٨٦ برقم: ٦٢٠)، وصححه الأرناؤوط.
(٢) رواه البخاري (١/١٣٦ برقم: ٦٧٦).
(٣) رواه البخاري (٩/١٥٦ برقم: ٧٥٣٤)، ومسلم (١/٨٩ برقم: ٨٥).

إن أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه هو قيامه بالصلوات المكتوبة شكلاً ومضمونًا... جاء في الحديث القدسي: «**ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه**»(١).

المسجد والصلاة:

المساجد هي بيوت الله في الأرض.. أي أنها مكان السلام والأمان، والقيام بالصلاة، والاتصال به سبحانه..

ولأن جوهر الصلاة هو العمل على إظهار معاني العبودية والالتزام بالعهد معه سبحانه؛ فإنه من المفترض أن يكون المسجد على هيئة تساعد المسلم على التحقق بتلك المعاني.. فعلى سبيل المثال: أيهما أكثر إظهاراً لمعاني الذل والانكسار لله عز وجل: السجود على التراب أو الفُرُش المتواضعة أم السجود على الفُرُش الوثيرة المزركشة الصاخبة النقوش؟

لقد قال رسول الله ﷺ ليلةً في سجوده: «**أقول كما قال أخي داود** عليه السلام: **أُعفر وجهي في التراب لسيدي، وحُقَّ لسيدي أن تعفر الوجوه لوجهه**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٨/١٠٥ برقم: ٦٥٠٢).

(٢) رواه الطبراني في الدعاء (برقم: ٦٠٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/٣٦٤ برقم: ٣٥٥٧).

.. **أخي:**

أيهما أفضل وأدعى لتحصيل الخشوع، وجمع القلب مع الله: أن تدخل مسجداً ليس فيه زخارف ولا زينة ولا ديكور؟ أم تدخل مسجداً تأخذ زخارفه بالأبصار؟!

لقد «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**».. بهذا أخبرنا رسول الله ﷺ(١)، فالعديد من المساجد اليوم يطلقون عليها تُحَفًا معمارية في الديكور، والزخرفة، والمآذن الشاهقة، و... مع أن المطلوب غير ذلك... المطلوب أن يكون المسجد عاملاً مساعداً للمصلي لكي يستحضر معاني الذل والانكسار والتصاغر لربه سبحانه.

صلاة الجماعة:

ألا يكفي المرء أن يجتهد في استحضار معاني العبودية في صلاته وهو منفرد بربه؟ لماذا ينبغي عليه أن يحرص على أداء الصلوات المكتوبة في جماعة؟

هذه تساؤلات قد تخطر في أذهان البعض، ومحورها يدور حول الحكمة من صلاة الجماعة..

والإجابة بعون الله: بأن صلاة الجماعة تمثل إعلانًا عامًا ومظهرًا لخضوع الأمة لربها...

---

(١) رواه مسلم (١/ ١٣٠ برقم: ١٤٥).

وهي تضع المؤمنين في هيئة تشبه هيئة الملائكة في صلاتها: ﴿ **وَالصَّافَّاتِ صَفًّا** ﴾ [الصافات: ١].

... ومن شأنها تقوية وحدة الأمة، وإشعار المسلمين بأنهم جسد واحد.. نسيج واحد.. مصير واحد.

.. وهي مظهر لوحدة الهدف.

.. وهي إعلان عام بأن قوة المسلمين تنبع من صلتهم بربهم، ومتانة أخوتهم، واتحاد كلمتهم..

.. وهي المجتمع المصغر حيث التواد والتراحم والتكافل وتفقد الأحوال والتعرف على نقاط الضعف والعمل على تقويتها.

.. وفيها تمارس العديد من معاني الإسلام كالتواضع، وخفض الجناح، وحسن الخلق، والذلة على المؤمنين، والمساواة بين الجميع....

تضييع الصلاة:

الصلاة في جوهرها وحقيقتها هي اتصال بين العبد العاجز الضعيف الفقير الجاهل الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا... بالرب القادر القوي العظيم الملك، الحي القيوم، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء...

الصلاة هي الترجمة العملية للعهد الذي أعطيناه لله عز وجل

حين أشهدنا على أنفسنا وكل البشر: ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا** ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فإن ترك المرء الصلاة هبط إلى الأسفل، وابتعد عن الصراط المستقيم، ونقض العهد والوعد الذي وعد به ربه..

وإن قام المرء للصلاة ليؤديها كواجب عليه الانتهاء منه دون النظر لمعانيها وجوهرها، فرفع يديه بالتكبير وهو غافل.. وقرأ وهو غافل.. وركع فسبح كما يسبحون.. وسجد كما يسجدون.. وتمتم بدعوات حفظها من كثرة سماعها... هذه الصلاة التي يمكنها أن تدخل في باب التمارين الرياضية، وسواء صلاها المرء في جماعة أو منفرداً؛ فإنها لا تعقد صلة بينه وبين الله، وكأنها لم تكن، والله أعلم.

...نعم، هي عند جمهور الفقهاء تُسقط الفرض عن المُكلَّف، ولكن أين العهد الذي بيننا وبين الله؟ والصلة التي ترفعنا إليه، وتضعنا في مضمار العبودية..؟

.. إن الصلة تنعقد -والله أعلم- حين يتلبس المرء بمعاني العبودية، وقد يحدث هذا بدرجة (ما) في الصلاة، وقد لا يحدث؛ لذلك قال ﷺ: «**إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها،**

نصفها»(١)، فإن خرج من الصلاة كما دخل... وإن لم يعش فيها بكيانه مع حقيقته كعبد ولو قدراً يسيراً.. فهل يُكتب له منها شيء؟!

إن المساجد تملأ بلاد المسلمين، والملايين يذهبون إليها... يركعون ويسجدون في أقصى صور الذل والانكسار... ولكن هل حققت صلاتهم وركوعهم وسجودهم أهدافها، وتواصلوا من خلالها مع ربهم؟!... للأسف الواقع يخبرنا بأن صلاتنا وصلاة جموع المسلمين لم تنههم عن فعل المنكرات، فالمخالفات التي تستدعي غضب الله تشيع في جنبات الأمة، وليس أدل من مظاهر هذا الغضب أنه سبحانه تركنا لأعدائنا يسوموننا سوء العذاب مع أنه قد وعد في كتابه بنصر المؤمنين: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿**وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾ [النساء: ١٤١].

إن هذه الآيات المحكمة تكشف لنا حقيقتنا.. لسنا من أولئك المؤمنين الذين وعدهم الله بنصره وتأييده... لسنا من عبيده الذين يكفيهم: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ [الزمر: ٣٦].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣١/١٨٩ برقم: ١٨٨٩٤)، وأبو داود (٢/٩٧ برقم: ٧٩٦)، وابن حبان (٥/٢١٠ برقم: ١٨٨٩)، وحسنه المنذري (١/٢٠٢) والألباني في أصل صفة صلاة النبي ﷺ (١/١٥).

.. ومع ذلك فهناك في الأمة –من لا يعلمهم إلا الله– يقيم الصلاة ويعقد بها الصلة الحقيقية بينه وبين ربه، ولكن كم تبلغ نسبة هؤلاء إلى المجموع؟ وكما نعلم أن الله عز وجل يعامل الأمة كوحدة واحدة وجسد واحد: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٩٢].

●●●

الطريق إلى إقامة الصلاة

إن العهد الذي بيننا وبين الله عز وجل وينبغي أن تترجمه الصلاة، وتُظهره بهيئتها وحقيقتها تلخصه الآية الكريمة: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥].

فالصلاة هي الترجمة العملية لضرورة إخلاص العبادة وإخلاص الاستعانة بالله: ﴿**فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ**﴾ [هود: ١٢٣]. فأين نحن من ذلك؟

إننا حين ندخل إلى الصلاة فإنما ندخلها بشخوصنا التي تمارس الحياة وتتعامل مع الناس وتواجه تقلبات الحياة بانفعالات وأفعال قد تكون بعيدة –إلى حد ما– عن مفهوم: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥] وهذا يدفع إلى القول بأنه لا يمكننا إقامة الصلاة على حقيقتها ونحن لم نتطهر من كل مظاهر العبادة والاستعانة والتعلق بغير الله..

فحين نسعى لرضا الناس ونعمل من أجل ارتفاع منزلتنا عندهم؛ أليس ذلك دليلا على أننا لسنا صادقين حين نقول: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾؟!

وحين نزكي أنفسنا ونمدحها ونفرح بها، وننسب الفضل والنجاح إليها؛ هل نحقق: ﴿ **وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾؟!

وهل حين نعتقد في الأسباب ونتعلق بها لجلب النفع أو دفع الضر نكون صادقين حين قلنا: ﴿ **بَلَىٰ شَهِدْنَا** ﴾ على ربوبية الله؟!

وحين نتفاخر ونتباهى، ونعتد برأينا ونتعالى على الآخرين؛ هل يتناسب هذا مع أخلاق العبيد؟ وهل يمكننا آنذاك أن ندخل إلى الصلاة فنتحول لأناس صاغرين لله عز وجل؟!

.. وحين ننسى يوم الحساب، ونغفل عن الآخرة، ونريد الحياة الدنيا وزينتها ولهوها ومباهجها، ونحرص على تحصيلها.. هل نتوقع أن تصفو قلوبنا لله حين ندخل إلى الصلاة؟!

... لذلك لا يمكننا للأسف أن نقيم الصلاة بحقيقتها إلا بعد أن نطهر قلوبنا من هذه العلائق الفاسدة..

إن الأصنام تملأ القلوب: صنم النفس المتضخمة.. صنم التعلق بالأسباب.. صنم التعلق بالدنيا والرغبة في العلو فيها، ولا مناص من تحطيمها حتى تطهر القلوب وتصلح للدخول على الملك العظيم..

وليس معنى هذا هو ترك أداء الصلاة حتى يتم هذا التطهير، ولكن المقصد هو معرفة أبعاد المشكلة وأصل الداء، والاجتهاد في الشفاء منه بإذن الله على أقصى ما يمكن الاجتهاد.

ضرورة التزكية:

لا بد من التزكية حتى يطهر القلب، وترتحل الدنيا منه، ويكون رضا الله وحده هو المقصد والمطلب والغاية: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ويكون سبحانه هو الوكيل والمستعان: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ** ﴾ [الحج: ٧٨] نعتصم به ونلجأ إليه في جميع أمورنا وأحوالنا مستشعرين أنه «لا حول ولا قوة إلا بالله...».

فإقامة الصلاة -إذن- لا بد أن يسبقها ويسير معها عملية التزكية؛ لذلك نجد القرآن العظيم في العديد من الآيات يربط بين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.. فالزكاة بمفهومها الواسع هي ترجمة للتزكية والتطهير.. ﴿ **فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة: ٥].

الطريق إلى إقامة الصلاة يستلزم الاستشفاء بالقرآن والانتفاع به:

ومما لا شك فيه أن من أعظم وسائل التزكية والتطهير: إنفاق المال في سبيل الله: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [التوبة: ١٠٣] ولكنه وحده لا يكفي لتطهير

القلب من أصنامه وأمراضه..؛ لذلك لا بد من العزم والتشمير على القيام بالتزكية بشمولها حتى تطهر القلوب وتصلح للقرب من علام الغيوب..، وأفضل منهج وطريقة للتزكية هو ما دلنا عليه الله جل شأنه... القرآن الكريم: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ**﴾ [فصلت: ٤٤].

فهو خطاب مباشر من الله عز وجل للناس جميعًا يعرفهم فيه بنفسه، وبعَدُوِّه وعدوهم، وبطبيعة الاختبار في الدنيا، وبالعهد والميثاق، وبالعقبات التي تعترضهم، والأمراض التي قد تصيبهم، وكيف يتخلصون منها... يبشرهم فيه بالجنة، وينذرهم من النار، ويبين لهم فيه قدر الدنيا وقدر الآخرة، وحقيقة نفوسهم، وخطورة السير وراء أهوائها...، وبالإضافة إلى هذا كله فهو نور يبدد الظلمات... ظلمات الشك والجهل والهوى، وروح تسري في القلوب تحييها بعد موتها.. ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**﴾ [الأنعام: ١٢٢].

إن القرآن وحده المؤهل للقيام -بإذن الله- بالتزكية الشاملة الصحيحة.. ﴿**هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾ [الحديد: ٩] ومن ثم فهو أكبر معين لتطهير

القلوب والاتصال بالله.. قال رسول الله ﷺ: «**كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض**»(١).

لذلك نجد آيات تربط بين القرآن وبين إقامة الصلاة والإنفاق من ناحية، وبين الرجاء في الفوز برضا الله وجنته من ناحية أخرى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ**﴾ [فاطر: ٢٩].

فلنقبل على القرآن الحكيم إقبالاً صحيحًا، ولنتعامل معه من هذا المنطلق، ولنبحث فيه عن أمراضنا وعلاجها... ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ٥٧].

تهيئة الأجواء لإقامة الصلاة:

ومع ما سبق من طرح قد يُسهم -بإذن الله- في ارتيادنا لطريق إقامة الصلاة حق الإقامة؛ إلا أنه من الضروري التذكير ببعض الوسائل العملية التي تهيئ الأجواء للقيام بهذه العبادة العظيمة،.. نعم، هذه الوسائل لها أثر محدود إن لم يكن هناك انتفاع حقيقي بالقرآن، وارتياد لطريق التزكية -كما أسلفنا-.

---

(١) رواه أحمد (١٧/ ١٧٠ برقم: ١١١٠٤)، والترمذي (٥/٦٦٣ برقم: ٣٧٨٨)، وقال: حسن غريب، وصححه الأرناؤوط.

ومن ذلك:

.. إسباغ الوضوء.

.. التبكير للصلاة قدر المستطاع.

.. عدم الدخول في الصلاة مع وجود شواغل تصرف الذهن عن التركيز فيها كحضور الطعام، ومدافعة الأخبثين.

.. ومن الأدوية النبوية لتهيئة القلب للدخول للصلاة: تذكر الموت... قال رسول الله ﷺ: «**اذكر الموت في صلاتك، فإن الرجل يذكر الموت في صلاته لحريّ أن يُحسن صلاته، وصلِّ صلاة رجل لا يظن أن يصلي صلاة غيرها**»[1].

●●●

---

(١) رواه البيهقي في الزهد (برقم: ٥٢٧)، وحسنه ابن حجر كما في المقاصد الحسنة للسخاوي (ص: ٢٢٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (برقم: ١٤٢١).

فلنحذر التهاون في أمر الصلاة
شكلاً ومضمونًا.. فرضًا وسنة

الصلاة عمود الدين، وتشكل مع غيرها من العبادات المظهر العملي للإسلام، وهي الركن الثاني بعد الشهادتين.

الصلاة هي العبادة والفريضة التي لا يجوز تركها تحت أي ظرف من سفر أو مرض أو قتال.

وهي آخر وصايا الرسول ﷺ قبل وفاته: «**الصلاة، الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم**»(١).

.. الصلاة هي اتصال مباشر بين العبد وربه، ومن ثم فهي تعبير عملي عن عبوديته له وما ينبغي أن تشمله من خضوع وتذلل واستسلام وتعظيم ومهابة: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾ [طه: ١٤].

ولأننا لم ننزل للأرض إلا لعبادة الله عز وجل؛ ولأن الصلاة هي أهم تعبير عملي لهذه العبادة، فقد فرض سبحانه على

---

(١) رواه أحمد (٢/٢٤ برقم: ٥٨٥)، وابن ماجه (٤/٧ برقم: ٢٦٩٨)، وأبو داود (٧/٤٦٤ برقم: ٥١٥٦) عن علي ﷺ، وله شاهد عن أنس وأم سلمة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (برقم: ٨٦٨).

المسلمين في البداية خمسين صلاة في اليوم والليلة، وذلك قبل التخفيف.

معنى ذلك أنه من المتوقع -لو كانت خمسين صلاة- أن نكون في يومنا وليلتنا إما في صلاة أو ننتظر صلاة، ولقد خفف الله عز وجل هذا التكليف ليصبح خمس صلوات في اليوم والليلة، بعد الطلب المتكرر من الرسول ﷺ بناء على نصيحة أخيه موسى عليه السلام.

ففي حديث الإسراء والمعراج، قال رسول الله ﷺ: «**فأوحى الله إليّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى** عليه السلام»، فقال: «ما فرض ربك على أمتك؟» قلت: «**خمسين صلاة**»، قال: «ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم»، قال: «**فرجعت إلى ربي**، فقلت: **يا رب، خفف على أمتي، فحط عني خمساً**»، فرجعت إلى موسى، فقلت: «**حط عني خمساً**»، قال: «إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف»، قال: «**فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى، وبين موسى** عليه السلام **حتى قال**: **يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، ومن هَمَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كُتبت له عشراً، ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها لم تُكتب شيئًا،**

فإن عملها كُتبت سيئة واحدة»، قال: «**فنزلت حتى انتهيت إلى موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **فأخبرته**، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف»، فقال رسول الله ﷺ: «فقلت: **قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه**»[1].

فالصلاة وإن كانت قد خُفِّفت لخمس إلا أن قدرها وجوهرها وحقيقتها لم يخفف، بمعنى أن عبوديتنا لله عز وجل ينبغي أن تستغرق علينا يومنا وليلنا، وأهم تعبير لذلك هو الصلاة، والوقت الذي لا نعبد الله فيه يعرضنا للهلاك، لتأتي الصلاة فتخفف من أثر هذا الخطر، قال رسول الله ﷺ: «**تحترقون، تحترقون فإذا صليتم الفجر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم الظهر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العصر غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم المغرب غسلتها، ثم تحترقون تحترقون فإذا صليتم العشاء غسلتها، ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا**»[2].

---

(١) رواه البخاري (١/٧٨ برقم: ٣٤٩)، ومسلم (١/١٤٦ برقم: ١٦٢) واللفظ له.

(٢) رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود (في المعجم الأوسط (٢/٣٥٨ برقم: ٢٢٢٤) والصغير (١/٩١ برقم: ١٢١) وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١/١٤٤)، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وعن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملكًا ينادي عند كل صلاة: يا بني آدم، قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على أنفسكم، فأطفئوها بالصلاة**»[1].

فهذه الأحاديث الصحيحة تدل دلالة واضحة على أهمية الصلاة وقدرها، ومما يؤكد هذا المعنى أن أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة: الصلاة.

قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، يُنظر في صلاته فإن صلحت فقد أفلح، وإن فسدت خاب وخسر**»[2].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٩/ ١٧٣ برقم: ٩٤٥٢)، والصغير (٢/ ٢٦٢ برقم: ١١٣٥)، وحسن إسناده الضياء المقدسي في المختارة (٧/ ١٦٢ برقم: ٢٥٩٢)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه الترمذي (١/ ٥٣٥ برقم: ٤١٣) عن أبي هريرة ﵁ وقال: حسن غريب ورواه الطبراني في الأوسط (٢/ ٢٤٠ برقم: ١٨٥٩، ٤/ ١٢٧ برقم: ٣٧٨٢) عن أنس ﵁، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (برقم: ١٣٥٨)، وروى الإمام أحمد في المسند (١٣/ ٢٧٨ برقم: ٧٩٠٢)، وابن ماجه (٢/ ٤٢٥ برقم: ١٤٢٥)، وأبو داود (٢/ ١٤٨ برقم: ٨٦٤)، والنسائي (١/ ٢٣٣ برقم: ٤٦٦) عن أبي هريرة ﵁: «**إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول ربنا عز وجل لملائكته وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها، فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئًا قال: انظروا، هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه. ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم**».

إنها خير موضوع، قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بقبر فقال: «**من صاحب هذا القبر؟**» فقالوا: فلان، قال: «**ركعتان أحب إلي هذا من بقية دنياكم**»[2].

الصلاة لوقتها:

لقد افترض الله -عز وجل- على المسلمين خمس صلوات في أوقات محددة، هذه الصلوات كانت في الأصل خمسين صلاة، أي أن الصلاة الواحدة تعدل عشر صلوات، والله أعلم، فماذا علينا أن نفعل معها لنُظهر اهتمامنا وتقديرنا وتلهفنا لعبادة ربنا، وحرصنا على إطفاء نيراننا؟

المطلوب هو المحافظة والمداومة على أدائها في وقتها، وأن نُحسن الاستعداد لها بإسباغ الوضوء، وأن نؤديها في المساجد

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١/٨٤ برقم: ٢٤٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (برقم: ٣٩٠).

(٢) رواه ابن صاعد في زياداته على الزهد لابن المبارك (برقم: ٣١)، وقال: حسن غريب، والطبراني في الأوسط (١/٢٨٢ برقم: ٩٢٠)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١/١٥٣ برقم ٥٦٨)، والألباني في السلسلة الصحيحة (برقم: ١٣٨٨).

للرجال، وأن نتم أركانها، ونجتهد في تفاعل القلب مع اللسان بالخشوع فيها:

فقد سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة لوقتها**»[1].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خمس صلوات افترضهن الله عز وجل، من أحسن وضوءهن وصلاتهن لوقتهن، وأتم ركوعهن وسجودهن، وخشوعهن، كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل، فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه**»[2].

فضل صلاة الجماعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه، بضعًا وعشرين درجة، وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة، لا يريد إلا الصلاة، فلم يخط خطوة إلا رفع له بها**

---

(١) رواه البخاري (١/ ١١٢ برقم: ٥٢٧)، ومسلم (١/ ٩٠ برقم: ٨٥)، وعلى وقتها: أي في أول وقتها.

(٢) رواه أحمد (٣٧/ ٣٦٦ برقم: ٢٢٦٩٣)، وابن ماجه (٢/ ٤٠٨ برقم: ١٤٠١)، وأبو داود (١/ ٣١٦ برقم: ٤٢٥)، وابن حبان (٥/ ٢٣ برقم: ١٧٣٢) وصححه ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ٢٨٨)، والألباني في تخريج مشكاة المصابيح (برقم: ٥٧٠).

درجة، وحط عنه بها خطيئة، حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، يقولون: اللهم ارحمه، اللهم اغفر له، اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه، ما لم يحدث فيه»[1].

الترهيب من ترك حضور الجماعة لغير عذر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من سمع النداء فلم يأته فلا صلاة له إلا من عذر**»[2].

وعن ابن أم مكتوم رضي الله عنه قال: قلت: «يا رسول الله، إني شيخ ضرير البصر شاسع الدار، ولي قائد لا يلائمني فهل تجد لي رخصة أن أصلي في بيتي؟» قال: «**أتسمع النداء؟**» قال: «نعم»، قال: «**ما أجد لك رخصة**»[3].

- **عفوك يا رب:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها، فآمر**

---

(١) رواه البخاري (١/١٠٣ برقم: ٤٧٧)، ومسلم (١/٤٥٩ برقم: ٦٤٩).

(٢) رواه ابن ماجه (١/٥٠٧ برقم: ٧٩٣)، وأبو داود (١/٤١٣ برقم: ٥٥١)، وابن حبان (٥/٤١٥ برقم: ٢٠٦٤)، وصححه النووي في المجموع (٤/٤٨٩)، والألباني في إرواء الغليل (عند تخريجه لحديث رقم: ٥٥١).

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٤/٢٤٣ برقم: ١٥٤٩٠)، واللفظ له، ومسلم (١/٤٥٢ برقم: ٦٥٣).

بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم، ولو علم أحدهم أنه يجد عظمًا سمينًا لشهدها» يعني صلاة العشاء[1].

وعن ابن مسعود ﵁ قال: «من سره أن يلقى الله غداً مسلمًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفع بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنا إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»[2].

وعن ابن عباس ﵄ قال: من سمع "حي على الفلاح" فلم يجب فقد ترك سنة محمد ﷺ[3].

---

(١) رواه البخاري (١/ ١٣١ برقم: ٦٤٤) ومسلم (١/ ٤٥١ برقم: ٦٥١) واللفظ له.

(٢) رواه مسلم (١/ ٤٥٣ برقم: ٦٥٤).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٨/ ٧٠ برقم: ٧٩٩٠)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٠).

الترغيب في حضور صلاة العشاء والصبح خاصة في جماعة، والترهيب من التأخر عنهما:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا**»[1]، والتهجير: التبكير.

وعن أُبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح فقال: «**أشَاهِد فلان؟**» قالوا: لا، قال: «**أشاهد فلان؟**» قالوا: لا، قال: «**إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبواً على الركب**»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «**من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله**»[3].

---

(١) رواه البخاري (١/١٢٦ برقم: ٦١٥)، ومسلم (١/٣٢٥ برقم: ٤٣٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣٥/١٨٨ برقم: ٢١٢٦٥)، وأبو داود (١/٤١٥ برقم: ٥٥٤)، والنسائي (٢/١٠٤ برقم: ٨٤٣)، وابن خزيمة (٢/٣٦٦)، وابن حبان (٥/٤٠٥ برقم: ٢٠٥٦)، والحاكم (١/٣٧٥ برقم: ٩٠٤) وصححه ابن السكن والعقيلي كما في التلخيص الحبير (٤/٢٨٤) لابن حجر، والألباني في تخريج مشكاة المصابيح (برقم: ١٠٦٦).

(٣) رواه مسلم (١/٤٥٤ برقم: ٦٥٦).

وعن سمرة بن جندب ﵁ عن النبي ﷺ، قال: «**من صلى الصبح في جماعة فهو في ذمة الله**»[1].

وعن ابن عمر ﵄ قال: «كنا إذا فقدنا الرجل في الفجر والعشاء أسأنا به الظن»[2].

وفقد عمر بن الخطاب سليمان بن أبي حثمة في صلاة الصبح، وأن عمر غدا إلى السوق ومسكن سليمان بين المسجد والسوق، فمر على الشفاء أم سليمان فقال لها: «لم أرَ سليمان في الصبح!» فقالت: «إنه بات يصلي، فغلبته عيناه!» قال عمر: «لأن أشهد صلاة الصبح في جماعة أحب إلي من أقوم ليلة»[3].

صلاة المرأة في بيتها أفضل:

كل هذه الأحاديث في أهمية وضرورة الصلاة في المسجد تخاطب الرجال، أما النساء فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن؛ لأن أمر المرأة مبني على الصون والستر للحفاظ عليها وعلى غيرها.

---

(١) رواه مسلم (١/٤٥٤ برقم: ٦٥٧) وأبو نعيم في المستخرج على صحيح مسلم (٢/٢٥٢ برقم ١٤٦٧)، واللفظ له.

(٢) رواه ابن أبي شيبة (١/٢٩٢ برقم: ٣٣٥٣)، وابن حبان (٥/٤٥٥ برقم: ٢٠٩٩).

(٣) رواه مالك في الموطأ (١/١٣١).

عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنها: أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك؟ قال: «**قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي**»، فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء في بيتها، وأظلمه، وكانت تصلي فيه، حتى لقيت الله عز وجل[1].

وليس معنى هذا النهي عن صلاتها في المسجد، ولكن المقصود هو الأفضلية لها وللمجتمع، والله أعلم... عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن**»[2].

ولقد علل رسول الله ﷺ ترغيبهن بالصلاة في بيوتهن حين قال: «**المرأة عورة، وإنها إذا خرجت من بيتها استشرفها**[3]

---

(١) رواه أحمد (٤٥/ ٣٧ برقم: ٢٧٠٩٠) وحسنه ابن حجر في الفتح (٢/ ٣٤٩)، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) رواه أحمد (٩/ ٣٣٧ برقم: ٥٤٦٨)، واللفظ له، والبخاري (٢/ ٦ برقم ٩٠٠)، ومسلم (١/ ٣٢٧ برقم: ٤٤٢).

(٣) يستشرفها: أي تطلع إليها وطمع في إغوائها، وقيل معناه: ينتصب ويرفع بصره إليها، ويهم بها، لأنها قد تعاطت سبباً من أسباب تسلطه عليها، وهو خروجها من بيتها. انظر صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢١٠).

الشـــيطـان، وإنـهـا لا تـكـون أقـرب إلـى الله منـهـا فـي قـــعـر بيتهـا»[1].

ويقول عبد الله بن مسعود ﷺ: «النساء عورة، وإن المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس، فيستشرفها الشيطان، فيقول: إنك لا تمرين بأحد إلا أعجبتيه، وإن المرأة لتلبس ثيابها، فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضاً، أو أشهد جنازة، أو أصلي في مسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها»[2].

الشكل والمضمون:

وليست إقامة الصلاة -كما قيل سابقًا- بإقامة أركانها وإتمام ركوعها وسجودها فقط من الناحية الشكلية، بل لا بد من أن يعقل المرء ما يقوله فيها، ويتفاعل معه بالخضوع والخشوع، وعلى قدر ذلك يكون قدر صلاته عند الله سبحانه وتعالى... عن عمار بن ياسر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرجل**

---

(١) رواه الترمذي مختصراً (٣/٤٨٦ برقم: ١١٧٣) وقال: حسن صحيح غريب، والبزار (٥/٤٢٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٣/٩٣ برقم ١٦٨٥)، وابن حبان (١٢/٤١٢ برقم: ٥٥٩٨)، والطبراني (١٠/١٠٨) وصححه الألباني في إرواء الغليل (برقم: ٢٧٣)، والسلسلة الصحيحة (برقم: ٢٦٨٨).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٩/١٨٥)، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب (١/١٤٢).

لينصرف وما كتب له إلا عُشر صلاته، تُسعها، ثُمنها، سُبعها، سُدسها، خُمسها، رُبعها، ثُلثها، نِصفها»[1].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر، فلما سلم نادى رجلاً كان في آخر الصفوف، فقال: «**يا فلان، ألا تحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي؟ فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي**»[2].

وعن عقبة بن عامر ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يقوم في صلاته، فيعلم ما يقول إلا انفتل وهو كيوم ولدته أمه**»[3].

وسألت عائشة ﵂ رسول الله ﷺ عن التلفت في الصلاة، فقال: «**اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد**»[4].

---

(١) رواه أحمد (٣١/١٨٩ برقم: ١٨٨٩٤)، وأبو داود (٢/٩٧ برقم: ٧٩٦)، وابن حبان (٥/٢١٠)، وحسنه المنذري (١/٢٠٢) والألباني في أصل صفة صلاة النبي ﷺ (١/١٥).

(٢) رواه مسلم (١/ ٣١٩ برقم: ٤٢٣).

(٣) رواه مسلم (١/٢٠٩ برقم: ٢٣٤)، والحاكم (٢/٤٣٣ برقم: ٣٥٠٨) واللفظ له وقال: صحيح، ووافقه الذهبي، لفظ مسلم وغيره: «**ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلي ركعتين، مقبل عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة**».

(٤) رواه البخاري (١/١٥٠ برقم: ٧٥١).

أهمية صلاة التطوع:

كما أسلفنا فالصلاة هي أهم مظهر عملي لعبوديتنا لله عز وجل، ولقد كانت الصلاة المفروضة في البداية خمسين صلاة، وخففت لخمس... هذا التخفيف يستدعي من العبد تشميراً واجتهاداً في التطوع بالسنن قدر المستطاع، حتى يجبر أي نقص في صلاة الفريضة التي أداها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح ونجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن انتقص من فريضته قال الله تعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع يكمل به ما انتقص من الفريضة؟ ثم يكون سائر عمله على ذلك**»(١).

ومن فوائد صلاة التطوع أنها تديم اتصال العبد بربه من خلال تلك الهيئة -هيئة الصلاة- وما فيها من خضوع واستسلام مما يضعه في طريق استجلاب حب الله له كما وعد سبحانه بذلك.

جاء في الحديث القدسي: «... **وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى**

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٣/٢٧٨ برقم: ٧٩٠٢)، وابن ماجه (٢/٤٢٥ برقم: ١٤٢٥)، وأبو داود (٢/١٤٨ برقم: ٨٦٤)، والنسائي (١/٢٣٣ برقم: ٤٦٦) وصححه الأرناؤوط.

أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[1].

والتطوع بالصلاة لله بوجه عام مندوب، وهناك سننٌ مؤكدة وقيامُ الليل، وغير ذلك من صلاة التطوع على المرء أن يحافظ عليها، ويرجو فضلها: ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [الإسراء: ٧٩].

أسأل الله عز وجل أن يجعلني وإياك –أخي القارئ– وذريتنا ممن يقيمون الصلاة حق إقامتها، وأن يغفر لنا ويرحمنا، ويعيننا على الوفاء بعهدنا.

﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ** ﴾

[سورة إبراهيم: ٤٠، ٤١].

●●●

---

(١) رواه البخاري (٨/ ١٠٥ برقم: ٦٥٠٢).

الفهرس

●●●